

## زيارة الرئيس العماد ميشال عون لمونتريال كندا

٢٠٠٣/٣/١٦

شارك دولة الرئيس العماد ميشال عون اليوم في القداس الإلهي الذي أُقيم في كنيسة دير مار مطانيوس المارونية - (مونتريال - كندا) بحضور حشد كبير من أبناء الجالية وفاعلياتها وعدد من الرسميين والسياسيين الكنديين. ترأس الذبيحة الإلهية الأب سيمون عساف الذي رحب بصديقه دولة الرئيس وألقى بعد الإنجيل المقدس العظة التالية:

دولة الرئيس ميشال عون، حضرات الأخوة والأخوات،

أحد النازفة هو هذا الأحد من الصوم المبارك

ودين ودنيا بلبنان مرضى تخور بمسرى الخراف العزيمة

وتبكي مسيحاً وبيتاً وأرض بلادي نزييف وأهلي هزيمة

نازفة سقى منذ اثنتي عشرة سنة أنفقت مالا على الطبّ ولم تلقَ علاجاً. وبيننا جموع يسوع ازدحام دنت للنيل من هذب الرداء دواء. فقال المعلم ثوبي من لمس؟ وحالاً تراخت على الرجلين ترجو، وحالاً يعطف يسوع رمق، إيمانك خلصك إذهبي بسلام معافاة. على الإيمان نالت خلاصاً، سلاماً وشفاء. ونحن نعاني النزييف الأليم فلا المال أجدى ولا ومضُ إيمان، فكيف السبيلُ لنيل الخلاص وكسب السلام؟ ألا تتطبق حكاية المرأة على وضع الوطن؟

إثنتا عشرة سنة عقدُ زمن لرحيلنا عن تلك الربوع. أما نرفُ المرأة الدامي كنزف جسد لبنان بهجران الشباب؟ وصرف المال على الطبّ دون أمل أليس كهدر المال والرجال عندنا دون جدوى؟ زحمت الجموعُ يسوع لسماع الايات والاستشفاء من علل أما ازدحمت الجماهير حول بيت الشعب لسماع ابلغ الحكم والتماس الشفاء من حرب وضيق وشواذ؟ ارتماء المرأة على قدمي الرب ألا يشبه تهافت الناس أمامك كأسرة جراها لإنقاذ من كوابيس هيمنة وضغوط احتلال؟

لمست المرأة رداء المعلم للبرء من نرف والخلاص من ألم. أما تلمس الشعبُ في شخصك التخلص من فوضى وقمع وإرهاب؟ يصحّ التشبيه وتجوز المفارقة بين شؤون السماء وشجون الأرض. جاء يسوع لتحرير الإنسان وثاراً على المرائيين والكتبة والفريسيين، فكان نصيبه خشبة الصليب وشهد الرسل لسمو البشارة، فكان حظهم الاضطهاد والتعذيب والاستشهاد. وحملت وأنت تلميذ يسوع وحفيد الرسل صليب الوطن، الهمّ وكدحت، لكنهم فشلوا في اغتيالك واعتقالك، نتيجة الأمر خلصت المرأة بفضل السيّد قبل التأمّر والصلب، بينما أنت حملت الصليب قبل اجتراع أعجوبة الخلاص.

لقاء اليوم بين حنايا هذا المعبد حول مذبح الربّ يحملنا على أجنحة الحنين إلى مرحلة من عمر لبنان انطوت ليتها تعود وتنفلت منا النفاتة تطير الروح معها لتحتطّ في معاقل العرين، تذكرنا بعهود لم ولن يرى شعبُ لبنان العظيم مثلها في تاريخه الطويل. كنا عهد ذاك في الأوج من أعراس الحرية، وكنت يا عمادنا الغالي جواباً على سؤال ترجمه الزحف الكبير بالشوق إلى القائد الأشرف والقيادة الرائدة. لا لم تبرد في الذاكرة حرارة تلك المشاهد والصور حول بيت الشعب وهزيح الجماهير نشيد استقلال ولا أروع.

تلك أيام ما كان أجملها وهذه أيام ايه ما أبشعها، تلك للتحرير والتغيير والتعمير والعمران، وهذه للتفكير والتحقير والتهجير والهجران. هدفك كان جمعُ شملٍ من كل مشرب متعالياً ووزيريك على اعتبارات رخيصة مغرصة نابذاً التناحر والنعرات ساعياً إلى خلق وطن نموذج يضمّ تعددية حاضرة للتحضّر وحضارة جاهزة لأعداد هويّة وطنها النهائي لبنان. رمت أمة تستظل أفياء الأرز تنتعق، من قيود الشرق وروابط الغرب وتعتقُ محبة بلاد حافلة بالعطاءات. والثقافات والتمدن والرقى. كرة نار تسلّمت فيما شعبنا للقيامة انتظار، ونحن على درب القيامة.

ومن تراه ينسى كلماتك أنتم لبنان الراحل وهم لبنان الآتي، ومن تراه ينسى تصريحك ومصارحتك النواب زائداً على ويلات جبران واحدة: "ويلٌ لأمة تضحى بشبابها من أجل شبيها". وأجيز لنفسي أن أزيد واحدة: "ويلٌ لأمة تضحى بعمالقتها من أجل أقزامها، بأبرياءها من أجل مجرميها، وبأذكيائها من أجل الأغنياء". أليس هذا الشكل من أشكال النزف الذي به بلينا؟

وتمر بالبال معارك حرب التحرير، وفي قراءة سليمة نشهد كيف وفرت يا دولة الرئيس قناعة دولية أنّ الحرب التي خضت لبنانية سورية، لا حرب أهلية كما يزعمون، كتبها بالدم شهداؤنا البواسل، فمحاها بالحبر والتبر نواب وأعراب وعُراب طائف مستنصب ممسوح كان يجب الإجهاض عنه وهو جنين، أما هذا أيضاً خطيئة سببت لنا النزف المهين؟ لا عرشُ دام ولا كرسي لنا سلمت لولا دم الشهداء. باعوه وانبطحوا وبالرخص كانت المبايعة.

أطلقت الصوت يجلك وقارُ الأنبياء تحذّره ممّا هم فيه يتخبّطون، فضربوا عرض الحائط وغطسوا في المستنقع. جرّبت إخراجهم من عبودية الفرعون، ففضلوا بصل مصر على المنقّ والسلوى كما يقول الكتاب. لم يخلجوا ممّا اقترفوا من جرم وعمّا ارتكبوا من إثم. عروا القضية من ثياب العزّ ومشوا في مأثم التضحيات على مرمى زمن النضال مفضلين أن يكونوا زعماء مزرعة على قياسهم، من أن يكونوا أحرار في مواكب النصر وشمخات العنفوان، ألهمنا ما منحت تلك المنزوفة.

يا سليل يوسف بك كرم، وأبي سمرا غانم، وطانيوس شاهين، ويوسف الشنتيري، لم تخن خط المقاومة والصمود، بل جابهت العدو بالقحم والهجوم وفي يمينك سوط المعلم: "بيتي بيت صلاة يدعى". وأعدت كرامة جيش مشرذم مأجور وثبت قدرته على التصدي والدفاع فاسترد له ولشعبه احتراماً فقيداً وبرهن عن قناعة برمزه المثلث، شرف تضحية وفاء خلافاً لما هو عليه الان.

أين الشرف وعرض الأرض وطولها منتهكان؟ أين التضحية والناس ضحايا فوضى وفلتان؟ أين الوفاء والوطن زريبة قطعان وارتهان؟ ونرسم علامة استفهام حول الدولة والمصير؟ دولة جزارة كافرة بحقوق الإنسان حكامها أجراء مستعبدون لأوامر الأبالسة بينما الحاكم الشريف نظيرك يرفض شرفه العار والجبانة والانبطاح، ويأبى خيانة القسم والوجدان لصيانة الأخلاق والأعناق والأرزاق، لا أن يقهقه على قهر الفقراء والمظلومين ويلتذُّ بالقتل والقمع والإذلال وينتشي بالكفر والتهجير. فينزف جسد الوطن شباباً لا يعودون إليه. وتحضرني مقولة الأديب ولي الدين يكن: "كما تؤذي الجعل رائحة الياسمين، هكذا تؤذي الحاكم المفسود رائحة الحرية". أكنت خارج البلاد أم في الداخل وحدك تبقى في التاريخ حديث فخر لأجيال قادمة بينما الذين عاكسوا وشاكسوا هم كما قيل: "إن الزرازير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا". أمة خلت من بطل هي للموت منذورة.

لا ليس بمقدور غيرك ملء المساحة التي تحركت عليها لأنهم بحد ذاتهم فراغ لقد أضفت على وجوه القافلة وجهاً تلاً لصفاء وتألّق نزاهاة والنعمة من فوق تزيّنك، ليكن ضميرك مرتاحاً أمام الضوّ الإلهي الذي وحده يُدرك الخفايا ويفحص القلوب. وبما أنّ النزف يستكمل، لنا في هذا الصيّم التطلّع إلى الله للتخلص من أشبح ياجوج وماجوج والمحافظة على الهوية والتراث للوصول إلى مرسى الطمأنينة وشاطئ الأمان أمّلين أن يورق الزيتون والغار في بلاد البطولة والقداسات، سائلين الله أن يرأف بلبنان وشعبه المنكوب في كرامته ويوقف النزف كما أوقف نزف المرأة في الإنجيل الأطهر، ثمّ يجمع شملنا معك يا دولة الرئيس في المعقل الأشمّ تحت راية الأرز الخالد وتباركنا سيّدة لبنان. آمين

بعد انتهاء القداس التقى دولة الرئيس مع أبناء الجالية في صالة الدير حيث قام بإلقاء كلمة ارتجالية شاملة شرح فيها آخر التطورات ذات الصلة بالوضع اللبناني والشرق أوسطي ضمنها تصورات التيار الوطني الحر لمجرى الأحداث. هذا وتناول دولته دور الاغتراب وركز على واجب المغترب لجهة مساندة أهله في الوطن المحتل على كافة الأصعدة لتعزيز صمودهم ومقاومتهم في وجه قوى الاحتلال وواجهاته المحلية.